القبائل الليبية والصحراء الكبرى في العصور القديمة بين الامتداد والامتزاج

عبدالسلام محمد علي قويدر

كلية التربية جامعة الزيتونة

الملخص:

حقيقة الأمر ومنذ البداية لا يمكن القول بتميز القبائل الليبية القديمة عن غيرها، فهي منذ ظهورها في الصحراء الكبرى عاشت على ما تجود به الطبيعة، من مكونات حجرية وأخشاب وعظام أصبحت شواهد على حياتها، علي مر العصور من ما قبل التاريخ، وحتى العصور التاريخية، ودونت أعمالها وممارساتها على جدران الكهوف وصخورها في مناطق استقرارها، بذلك كتبت تاريخها، وقد ظهرت للعيان من خلال زيارات وأبحاث ودراسات قام بها الباحثون من بينهم ماكبرنيMc Burey، وفروبينوس Frobenius، وهنرى لوث؛حيث اكتشفوا الأدوات الحجرية والعظام المستخدمة في وسط وشمال وجنوب الصحراء، فزان والأكاكاس، وشمالا في مناطق ترهونة وبني وليد وغريان وفي الجنوب الشرقي منطقة العوينات الحدودية بين ليبيا وبلاد النيل والسودان، وهم بذلك يثبتون امتداد هذه القبائل وامتزاجها مع الغير في فترات زمنية موغلة في القدم، وأن الوحدة الحضارية كانت متجذرة فيها، وعملية الامتداد كانت موجودة ولا تفصلها حدود ولا عراقيل، كان من نتائجها التمازج الحضاري، حيث إن جميع الشواهد والقرائن الموجودة حتى هذا التاريخ ومقارنتها بما عاصرها لدى الشعوب الأخرى يظهر التشابه الذي يصل في بعضه لمرحلة التطابق.

المقدمة :

تم اختيار هذا العنوان بعد أن كتب الكثيرون عن العلاقات الليبية بسكان بلاد النيل دون التطرق لعملية الامتداد التي تحركت فيها هذه القبائل اتجاه الغرب والشمال والجنوب، وكانت سبباً في وجودها وامتزاجها في فترات متعاقبة مع شعوب وقبائل مجاورة لها.

تعريف بالكلمات :

الأصل : أصَلَ الشيءَ:جعل له أصلاً ثابتاً يبني عليه (المعجم الوسيط)

الامتداد: النسب: عراقته (المعجم الوسيط)

الامتداد : يقال مدد الشيءُ : بسطهُ وطوله. (المعاني الجامع)

الامتزاج: لغة مزج الشراب ونحوه مزجاً: خلطه بغيره(المعجم الوسيط)تمازج الشراب والماء: اختلطا(المعجم الوسيط)

أهمية الموضوع : تكمن في إبراز عملية التمدد والتمازج التي كانت تربط القبائل الليبية القديمة بالصحراء الكبرى، ووجودها فيها وعمرها التاريخي الذي سبق تدوين التاريخ من خلال تلك الشواهد والبقايا التي امتدت على طول وعرض المناطق التي استقرت فيها.

تنحسر إشكالية هذا البحث فيما يمثله الامتداد والامتزاج للقبائل الليبية القديمة بالصحراء الكبرى والشعوب المجاورة لها عبر فترات تاريخية متعددة،من خلال هذه الإشكالية تم طرح مجموعة من الأسئلة، كانت على النحو التالي :-

1_ متى بدأ الارتباط التاريخي والمكاني بين القبائل الليبية القديمة والصحراء الكبرى؟

2_ ما هي الأسباب التي جعلت القبائل الليبية القديمة تدخل مرحلة الامتداد؟

4_ ما مظاهر الامتزاج بين القبائل الليبية القديمة والشعوب المجاورة لها ؟

المنهج: يستدعي هذا البحث اتباع المنهج التحليلي باستحضار الأحداث وتلك الشواهد والدلائل ومن ثم تحليل مضمونها وإجراء مقارنات بغية الوصول لنتائج تنبثق من واقع تلك القبائل والفترات الزمنية التي عاشوا فيها بحيث تكون معطيات جديدة تفتح أفاقاً لدارسين جدد.

الإطار الجغرافي :

أساس هذا البحث القبائل الليبية القديمة، التي لا يمكن تحديد موقعها الجغرافي بدقة خلال الفترة الزمنية المراد الحديث عنها، حيث ينحسر هذا البحث في المنطقة الممتدة من خط طول10 إلى خط طول32 شرقاً،ويضم في طياته الصحراء الليبية وأجزاء من الصحراء الغربية،وأيضاً أجزاء من الصحراء العربية والنوبية، وشمالاً من خط عرض34 إلى مدار السرطان جنوباً .

من المعلوم أن هذه الحدود قريبة الزمن إذ لم تكن موجودة في تلك الفترة، ومعظم القبائل كانت تجوب الأرض بحثاً عن مناطق استقرار ملائمة لها، وحسب البيئة الطبيعية المناسبة، فهي تنتقل من الشمال للجنوب ومن الشرق للغرب وبالعكس، بدون موانع تذكر.

الدراسات السابقة: جاءت الوثائق والنصوص المصرية القديمة في أولوية الدراسات التي ذكرت هذه القبائل(على الرغم من شكوك الباحث في مدى مصداقية البعض منها) إلا أنه من باب الأمانة العلمية لابد من ذكرها وتفحصها، أما المرتبة الثانية فقد كانت للمؤرخين والكتاب الإغريق منهم

هوميروس وهيردودت وديدور الصقلي وبليني، فقد تمّ ذكر بعض القبائل الليبية في كتاباتهم منهم من استقى معلوماته من كتابات السابقين، وبعضهم كانت مصادره شفاهية، فتدخل بذلك في طائلة الشكوك، تم يأتي دور الدراسات الحديثة التي اعتمدت في مجملها على الوثائق والنصوص والمؤرخين سالفي الذكر حيث جاءت نتائج دراساتهم وفق معطيات فرضها الواقع والزمن.

لا يخفي على الجميع أن موضوع القبائل الليبية قد استحوذ على اهتمام العديد من دارسي التاريخ القديم خلال هذا القرن،وظهرت فيه الكثير من الآراء التي انحسرت في مجملها في علاقات هذه القبائل مع جيرانها، حتى أن الباحث تعتريه بين الحين والآخر هواجس توحي له بعدم قدرته على إيجاد معلومات مؤكدة يمكن أن يستفيد منها البعض، وتأتي بما هو جديد؛ غير أن ذلك لم يُثنيه عن الاستمرار في طرح النظريات والمعطيات والشواهد وتحليلها ومقارنتها وإظهار نتائج تخدم **مضمون هذا البحث.**

تم تقسيم هذا البحث إلى مجموعة عناوين من أجل المحافظة على الترتيب التاريخي والإجابة على الأسئلة السابقة .

الأصل التاريخي والمكاني للقبائل الليبية القديمة.

امتداد القبائل الليبية القديمة بالصحراء الكبرى.

مظاهر امتزاج القبائل الليبية القديمة بالشعوب المجاورة .

الأصل التاريخي والمكاني للقبائل الليبية القديمة :

الأصل التاريخي:

تعددت النظريات والآراء حول وجود الإنسان وأصله، منها النظرية القائلة بالأصل العربي لسكان الشمال الإفريقي(الليبيين) فقد نسبت هذه النظرية أصل هؤلاء السكان لمنطقة شبه الجزيرة العربية، (نظرية أرنولد توينبي A.Toynbee وأيضا ج.كامبس) حين ذكرت بأن هذه المنطقة منطقة استقرار سبقت عملية التدوين بالآف السنين وبسبب الزيادة الهائلة في عدد السكان بدأت عملية الهجرة، التي نرى أنها تمثل مرحلة الامتداد الأولى باتجاه إفريقيا خلال عصر الأوليجوسين Oligocene بعد أن انحسرت مياه البحر، وقد سلكت هذه الهجرات طرقاً عدة عبر باب المندب والأخرى عبر شبة جزيرة سيناء حتى وصلوا إلى أماكن استقرارهم الجديدة التي شهدت بحضارتهم فيما بعد، وأصبحت أعمالهم من الأدلة القوية على عملية الامتداد والاستقرار (المبار ،2001، ص35). كان من بين من نادى بهذه النظرية العالم الانجليزي ستو؛ حين يذكر بأن جماعة السان

هم من أقدم المجموعات البشرية بإفريقيا قد جاؤوا لإفريقيا من آسيا بفريقين متميزين أطلق على الأول جماعة سان الرسامين والثاني جماعة سان النقاشين، ووصلوا لإفريقيا حين اجتازوا البحر الأحمر عبر باب المندب واجتازوا الغابات الاستوائية حتى وصلوا إلى مناطق بإفريقيا الجنوبية (ولدروج،1980،ص282). هذا القول يؤيد انحيازنا للنظرية نتيجة لتوحد وتشابه تلك الأعمال (الرسومات الصخرية) في العديد من المناطق التي مر بها ذلك الإنسان القديم واستقر بها خلال فترة زمنية محددة، وهي أعمال لم يصاحبها أي نوع من الكتابات بجميع مناطق تواجدها، غير أن مأخذنا على هذه النظرية ينحسر في حجم الأعمال وكثرتها في الصحراء الكبرى فعددها يفوق ما وجد في مناطق أخرى، فقد بلغت المواقع التي تحتوي تلك الرسومات والنقوش حوالي 30 ألف موقع موزعة على امتداد الصحراء الكبرى(بن عثمان،مغيث.2017. ص18)وإذا ما قورنت برسومات جبل العوينات الشرقية فهي قليلة، وقد تعددت الآراء محاولةً وضع فترة زمنية لهذه الرسومات منها ما جاء في دراسات اوبيرماير Obermair حين ذكر بأن العصر الحجري القديم Neolithic بمنطقة الصحراء يمكن أن يحدد زمنيا ما بين 6000- 5000ق.م وهو بذلك يكون معاصراً للحضارات التي قامت في بلاد النيل(ما قبل الأسرات)منها البداري (حارش،1988، ص15)وتستمر الاكتشافات حيث عمل فريق مختصين من جامعة جرنوبيل الفرنسية ومجموعة باحثين من مراقبة بنغازي بمسح أثري كانت نتائجه اكتشاف أكثر من 3000 نقش بواحة بزيمة تعود في معظمها لما يعرف بفترة الجمال، كما تم أيضاً اكتشاف رسوم صخرية لمجموعة من الأشكال الآدمية والحيوانية ترجع لما يعرف بفترة الأبقار(الورفلي،2011، ص2). وكهف هوافطيح الذي اكتشف من قبل تشارلز ماكبرني في حوالي خمسينيات القرن الماضي فهو مثال على تواجد الإنسان الليبي القديم منذ العصر الحجري بكافة مراحله في هذا الكهف الذي يقع في منطقة الجبل الأخضر شمال شرق ليبيا الحالية، ومن خلال الحفر به على عمق 14 متر يظهر تتابع الاستيطان البشري، ويعطيه الخصوصية ليصبح من أكثر مواقع ما قبل التاريخ أهمية في شمال إفريقيا، وأن عملية الاستيطان قد تعود إلى 200000 سنة(بوبطانة، 2011، ص8).بالإضافة لذلك هناك حقفة الطيرة وحقفة الضبعة، التي مرت بفترات ما قبل التاريخ، وأصبحت من أهم المواقع في الشرق الليبي الذي كان شاهداً على حياة الإنسان فيه.

أما في العصر الحجري القديم الأسفل فقد عثر على مجموعة من الأدوات تقدر بسبع فؤوس يدوية، تعكس التواجد الأشولي المتأخر، كما كان للعصر الحجري القديم الأوسط وجود تمثل في مجموعة

من اللباب والشظايا وجدت في وادي سلايب(الهدار، 2006، ص 42).وبرزت عدة ثقافات جديدة خلال العصر الحجري القديم الأعلى عبرت عن وجود هذا الإنسان الليبي القديم منها الثقافة الضبعانية والوهرانية والقفصية، (وهي امتداد متصل مع الصحراء الغربية حدث خلاله تمازج بهذه الثقافات على طول الصحراء كان منه المادي والفكري)إذ يلاحظ انتقاله من مرحلة التقاط الطعام إلى مرحلة إنتاجه، كما أصبح لديه نوع من التقدير لبعض مظاهر الطبيعة لاعتقاده بوجود قوى كامنة تُسير هذه الطبيعة(عيسي، 2012، ص3).بالإضافة لذلك فقد تم اكتشاف موقع أطلق عليه وادي تاجنت❖ يمتد لأكثر من 20كيلو متر ليصب في نهاية الأمر في وادي سوف أنجلة، تبرز أهمية هذا الموقع (وادي تاجنت) لكونه من أهم المواقع التي تعود إلى فترة العصور الحجرية، عثر منه على مجموعة من النقوش تصل لحوالي أكثر من 30 نقش تُمثل فترات زمنية متعددة تظهرها تلك الأساليب والألوان المستخدمة فيها، هذا ما يدفعنا إلى الانحياز لمن ينادي بقدم وجود الإنسان الليبي وانتقاله بأفكاره وعاداته من مكان إلى آخر كلما دعته الظروف لذلك،وما يشاهد من مناظر تصويرية في هذا الموقع تمثل نقوشاً يغلب عليها الثيران والزرافات، مشابة لتلك المواقع الموجودة في الجنوب الصحراوي في الأكاكاس وتعتبر امتداداً لفترات متعددة (الهوني، 2014، ص2).يزيد تواصل الإنسان الليبي القديم وارتباطه بموطنه منذ فترات سبقت تدوين التاريخ بمواقع أخرى كانت وما زالت شاهدة على ذلك ومنها منخفض الملفا الشهير❖❖ برزت فيه مناظر تصويرية لعدة أبقار وآثار أقدام وعربة، يعتقد بأنها كانت تُجر بواسطة الثيران، ومشاهد لحيوانات تشبه الماعز أو الودان (التواتي،2017، ص 2).

يستمر ذكر المواقع الأثرية القديمة التي دلت على عملية الامتداد الحضاري بين الإنسان القديم حيث يطالعنا كهف الوحوش❖❖❖ الذي يرجع عهده إلى عصور ما قبل التاريخ بمجموعة من الصور تصل لحوالي 5000 صورة مرسومة لأشكال بشرية راقصة وحيوانات غريبة بلا رأس، استخدمت فيها الألوان، كان البعض منها محفوراً في الصخر، هذا ما يزيد الاعتقاد بأن الامتداد والتمازج كان على امتداد العصور القديمة تتحكم فيه العوامل الطبيعية والجغرافية (رياض، 2015، ص12).يرى جيان ديزنج في نفس الاتجاه بأن الليبيين القدماء كانوا ينتمون لثلاثة عناصر سكانية استقرت في فترات متتالية هم أصحاب الثقافة العاتيرية، وأصحاب الثقافة القفصية ثم أصحاب العصر الحجري الحديث، وبالرغم من ذكره لأصل هذه الثقافات وانتمائها لهذه المنطقة إلاَ أنه يقف في صف من نادوا بالأصل الشرقي لهم، وأن الجماعات السكانية التي ظهرت في العصر

الحجري الحديث كان وجودها بالمنطقة منذ منتصف الألف الخامسة ق.م، ومن جانب آخر يذكر فلندرز بتري بأن سكان الوادي (بلاد النيل) في مجملهم كانوا من مهاجرين خرجوا من الصحراء الكبرى،يرجح بأنها مرحلة الامتداد الثانية عكس الهجرة الأولى ظهرت فيها عملية التمازج واضحة في كل جوانب الحياة على دفعات متتالية؛ استمرت في التدافع حتى زمن العصور التاريخية(عيسي، 2009، ص ص1_4)، بذلك فإن قدم هذه القبائل كان متجذرا وقائماً على أسس الانتماء السليمة والموحدة، ويذكر مصطفى كمال عبد العليم بأن تلك الجماعات السكانية أو القبائل التي تقطن مناطق ليبيا القديمة هي صاحبة حضارة على درجة كبيرة من المهارة والحيوية استطاعت أن تمتد خلال فترات زمنية قديمة إلى مناطق بلاد النيل عبر العديد من الواحات(تعتبر أداة ربط مباشرة) المنتشرة على امتداد الصحراء حتى وصلت لواحة الخارجة (عبد العليم، 1966، ص3).

ما سبق يقودنا للقول بأن الأخذ بالنظرية الأولى(نظرية الأصل؛ منطقة شبه الجزيرة العربية) ممكن؛ ولكن حدوثه كان خلال فترات زمنية قديمة سبقت عصر البلايستوسين❖❖❖❖(أدوار العصر الحجري القديم) لأن وجود هذه القبائل في الصحراء الكبرى كان أقدم بفترات زمنية طويلة، ودليل ذلك هو تلك الرسومات والنقوش الصخرية التي يرجح بأنها عاصرت الميوسين(عصر سابق للبلايستوسين) فلو تم الاتفاق مع هذه النظرية بأن سبب الهجرة الأولى(شبة الجزيرة العربية) ازدحام السكان وعبورهم شمالاً وجنوباً وغرباً فمن الطبيعي أن يجتازوا إلى الصحراء الكبرى بسبب عدم تمكنهم من الاستقرار الدائم خاصة في وجود مستنقعات وادي النيل ، بالإضافة لأن مناخ الصحراء في تلك الفترة عامل يساعد على الاستقرار، ويؤيد ابن خلدون تلك النظرية وحدوثها حين يذكر بأن هؤلاء(البربر) قد قدموا من جنوب جزيرة العرب وينسبهم لجدهم الأول مازيغ (المشرفي، 1969، ص23)، وبذلك يصح القول بقدم هذه القبائل الليبية وانتمائها لتلك المناطق التي استمرت لفترات زمنية مناطق استقطاب يرجح بأنها سبقت البلايستوسين وتقلص فيه امتدادها فترة من الزمن عاش فيها الإنسان حياته الخاصة، وحين أصبحت هذه المناطق طاردة وتغيرت الهجرة إلى العكسية باتجاه الشرق،(يرجح بأنها مرحلة ثانية لامتداد القبائل الليبية صوب الشرق) وما يدل على ذلك التشابه في الرسومات الصخرية ووسائل العيش التي اتضحت عند سكان هذه المناطق الجديدة فأعاد امتدادها حتى وصل نهر النيل، عبر الواحات الممتدة في الصحراء حتى الفيوم.

الأصل المكاني :

قسم العلماء الصحراء الكبرى(شكل1) إلى ثلاث مناطق كبيرة، أطلق على الأولى الصحراء الغربية الكبرى؛تبدأ من ساحل الأطلسي غرباً وتمتد حتى خط الطول 18شرقاً، أما المنطقة الثانية فهي الصحراء الليبية(موطن القبائل الليبية) وتمتد من حيث تنتهي الصحراء الغربية؛أي: بعد خط الطول 18 وحتى حدود نهر النيل؛ المنطقة الثالثة الصحراء العربية والنوبية ما بين نهر النيل والبحر الأحمر(باقر، 1968،ص7. العقون، 2020ص،240)، وتمتد ما بين جنوب مصر بعد أسوان وشمال السودان؛ من الشلال الأول إلى الشلال السادس، وتنقسم إلى قسمين النوبة السفلى والنوبة العليا(دقيل، 2019، ص1)مما يهيئها أن تكون منطقة عبور لهذه القبائل وتمثل مرحلة الامتداد الأولى تأييداً لنظرية توينبي.

وإذا ما أخذنا من البداية بقول باول جراتسيوسي بأن كل الأعمال الفنية التي قام بها الإنسان في مناطق تواجده وفتراتها الأولى صنعت بأدوات حجرية(شكل2)وهي مستمدة من واقع حياته (جراتسيوسي، 2008، ص33)، فهذا يدعونا لتأييد القول بأسبقية العصور الحجرية عن الرسوم والنقوش الصخرية، وتكون هي نقطة الانطلاق.

إن نظرية (توينبي) تدعونا لتتبع مراحل الانتقال والمحطات التي توقفت فيها هذه القبائل من نقطة الانتقال الأولى، وأصبحت شاهدة على ذلك إذ وجدت العديد من رسومات ذلك الإنسان القديم على طول خط السير حتى وصوله للصحراء التي كانت في تلك الفترة منطقة استقطاب نتيجة لمناخها الملائم للسكن والاستقرار.

وإذا ما بدأنا بالصحراء الغربية(الأولى) فإنها قد مرت كغيرها من مناطق الصحراء الكبرى بفترات العصور الحجرية، حيث وجدت العديد من المواقع التي برهنت على ذلك من المحيط الأطلسي غرباً حتى خط العرض سابق الذكر؛كان من بينها موقع يطلق عليه كهف عبد الرحمن بالدار البيضاء وعين الحنش في سطيف❖❖❖❖❖، وعرباوة في سهول المغرب الشمالية ودور الدوم، ومحجر دبرية، وهي جميعها تمثل أقدم مواقع للصناعات الحجرية في الشمال الإفريقي.وأقدم استيطان بشري في هذا المكان؛فقد تميز العصر الحجري القديم الأوسط، بثقافة جديدة أطلق عليها الثقافة العاترية❖❖❖❖❖❖، ومنه امتدت لمناطق الصحراء الليبية واندمجت فيها، وبرهان ذلك ما وجد من مواقع منها وادي ماصودا، ووادي درنة، بمنطقة الجبل الأخضر في الشرق الليبي التي تم الكشف عنها ؛من طرف ماك برني(مهران، 1990،ص ص 9_13).

يذكر أن عصر البليستوسين قدم منح فرصة العيش والاستقرار بسبب مناخه الذي تميز بارتفاع الحرارة ورطوبة، وقد وصلت مجموعة من الحيوانات لهذه الصحراء مثل الفيلة ووحيد القرن وأفراس النهر، وأن وجود عظامها بهذه المواقع دليلٌ على ذلك (اكصيل،2007 ص68).

تجدر الإشارة هنا للتدليل بالمجاري المائية الموجودة في الوديان الصخرية قديماً، حيث تظهر فيها القدور الصخرية (أحواض مائية) وهي مصقولة على تلك السطوح الصخرية (جراتسيوسي، 2008، ص28). كما أن مناخ العصر الحجري الحديث الذي مرت به الصحراء في فتراته المتأخرة كان قد هيأ فرصة الاستقرار بوجود تلك الحيوانات التي تعتمد على وفرة المياه، فجسدت في تلك الرسومات الصخرية التي وجدت في بعض المواقع، كما مرت الصحراء الليبية (الثانية) بنفس العصور الحجرية،فوجود الأدوات والأسلحة القديمة يدلل على ذلك، كما أن انتقال هذه الأدوات والأسلحة لبلاد النيل يدلل على عملية الامتداد من الغرب إلى الشرق في فترات متأخرة،ودون العديد من المؤرخين في القرن الخامس ق.م. وما بعد (هيرودوت، واسترابو، وديودور الصقلي) بأن مناطق الصحراء الداخلية كانت جرداء وتغلب عليها الرمال الصحراوية،وهي لا تصلح للاستيطان البشري، خلال تلك الفترة (اكصيل،2007،ص ص69_72).يرجح بأن هؤلاء المؤرخين قد عاصروا تلك الفترات الزمنية التي تعتبر فترات متأخرة عندما إنتاب المناخ الصحراوي والجفاف تلك الصحراء، فدونوا ما نظروه وسمعوه.

يذكر عند بعض المؤرخين ومن بينهم هيرودوت أن من استوطن مناطق الصحراء الكبرى وخاصة الجنوب الليبي هي قبائل تأصلت من ثلاث سلالات منذ زمن بعيد، منهم البوشمن وهي قبائل الفزازنة في شرق وادي الآجال، والجرمنت الذين دونت حضارتهم في العديد من الكتابات، بالإضافة للإثيوبيين في الجنوب الغربي (الزدام،2009،ص23).

وإذا ما أخذنا أحد هذه القبائل نجد بأن هناك الكثير من الآراء التي ذكرت حول أصلهم وتسميتهم(الجرمنت) إلا أن الشيء الثابت أنهم أحد القبائل الليبية التي سكنت (الصحراء الغربية) منذ زمن موغل في القدم، وبالرغم من هذا التعدد ألا أن القول الأقرب هو أصلهم الليبي،واتضح ذلك من خلال البقايا العظمية التي تبين أن هناك أوجه شبة بين الجرامنت القدماء وبين سكان الجنوب الليبي حاليا(مصطفى، والعقون، 2020، ص،24).

تساند المصادر في بلاد النيل عملية الامتداد المتواصلة حين تذكر بأن اللوبيين (سكان الشمال الإفريقي) هم وحدة حضارية عرقية واحدة، وأن كل ما يقطن في الأماكن الغربية هم وحدة عرقية

متشابهة، مع تباين تقاليدها وأوضاعها. ومع مرور الزمن أصبح التأثير متبادلاً بين الجانبين.(عيساوي،2010،ص ص19_21).

إن أول ذكر للقبائل الليبية القديمة التي سكنت الصحراء الليبية جاء في وثائق بلاد النيل التصويرية القديمة التي لم تصاحبها أي نوع من أنواع الكتابات،ويرجح بأن ذلك قد يرجع لعدم اكتمال الكتابة، وإنما هي رموز وعلامات وأشياء تم تفسيرها على أنها تخص الليبيين القدماء أو اتصف بها الليبيون وتميزوا بها عن غيرهم، وانتقلت معهم من مناطق استقرارهم الأولى،منها قراب ستر العورة والريشات وبعض العلامات التي وضعت على أجسادهم كالوشم، من هذه اللوحات التصويرية مقبض سكين جبل العرق ولوحة التحنو ولوحة نعرمر (التي هي في حقيقة الأمر وحسب اعتقادنا يدور حولها الكثير من الشكوك ومدى ارتباطها بالقبائل الليبية القديمة والأدلة على ذلك كثيرة وهي خارج موضوع البحث،وأن امتزاج القبائل الليبية ببلاد النيل جاء مؤيداً للنص الراجع لزمن الملك مرنبتاح 1220ق.م من حكام الأسرة التاسعة عشر، التي حكمت بلاد النيل في النصف الثاني من القرن الثالث عشر ق.م، والذي دون كغيره انتصاراته على هذه القبائل التي أطلق عليها لفظ (الليبو)بما يعرف بنصوص الكرنك(بازامة، ليبيا.1975، ص29)، وذلك حين فكرت هذه القبائل في الامتداد شرقا صوب بلاد النيل في فترات متأخرة.

وإذا ما نظرنا إلى تداول هذا اللفظ (الليبو) فيما بعد في الكثير من اللغات (كالعبرية والفينيقية واليونانية واللاتينية) وكثرة الآراء حوله يدل على عراقة هذه القبائل وأصالتها وارتباطها بهذه البقعة الجغرافية التي تحدد الرسومات الصخرية حدودها للباحثين والجغرافيين (بازامة،2012، ص3).

يرجح أن ما ظهر في الصحراء الكبرى من رسومات ونقوش صخرية عبرت بوضوح عن الحياة اليومية التي كان يعيشها هؤلاء السكان حيث شوهدت الرسومات الآدمية التي كانت تمارس حياتها بكل عفوية وانتماء؛ رُسمت تلك الأجسام وهى تمارس عمليات الصيد والرقص؛ وتظهر فيها خطوطاً حول الخصر فسرت على أنها قراب ستر العورة، وخطوط فوق الرأس فسرت على أنها ريشات(شكل3)، وقد وصفت هذه الرسومات من طرف فروبينوس Frobenius بأنها نفذت بيد ماهرة،لها خبرة ودراية واسعة (جراتسيوسي،2008، ص17)، أصبحت فيما بعد ميزة للقبائل الليبية القديمة وأنتقلت بها للشمال،ومثلت مراحل سبقت العديد من الشعوب المجاورة منهم سكان بلاد النيل بألآف السنين، (موري، 1979،ص157)،لم يبق ذلك الأثر متمثلاً في الصحراء فقط بل تعدى ذلك، وخاصة عندما

بدأ الجفاف يدب فيها حيث وسعت تلك القبائل امتدادها صوب الشمال فقد وجدت تلك الرسومات على طول الأماكن الصحراوية من الجنوب في فزان(شكل4)وجبل العوينات(شكل5) إلى الشمال الشرقي والغربي منها كاف المتكية في القريات ومنطقة ابيار مجيء، وبالقرب من عين الشرشارة بترهونة(شكل6)، وميداديب ووادي الخيل بمزدة(شكل7)(جراتسيوسي،2008، ص22)،بالإضافة لما وجد من نقوش صخرية بالمنطقة الشرقية إذ عثر في وادي جازا (زازا) على مجموعة من النقوش ترجع لفترة ظهور الحصان(الهدار، 2006،ص43)، وهذا أن دل على شئ فإنما يدل على قدم وانتماء هذه القبائل مكانياً وتاريخياً،ولم يقتصر امتدادها إلى الشمال بل توجه صوب الشرق (بلاد النيل) وأظهرت تلك الرسومات الجدارية القديمة تلك الميزات منها قراب العورة والريشات.

ومما يزيد من تأكيد قدم هذه القبائل وانتماءها هو ذكرها زمن هيرودوت حين قسم سكان ليبيا إلى قسمين الأول أطلق عليه السكان المهاجرين والثاني السكان الأصليين(Herodotus, iv,42)، وهؤلاء هم من يعنونا في هذا المقام حيث توضح الإشارة بأن هناك سكان أصليين لابد وأن تكون لهم عادات وتقاليد وأفكار مارسوها وكانت شاهدة على حياتهم اليومية وسبل العيش لديهم.

بالإضافة لذلك فأن هناك محطة أخرى يمكن من خلالها تأكيد عمليات الامتداد والتمازج حيث أن تلك الرسومات التي وجدت يظهر فيها التعبير عن فكرة استئناس وتدجين الحيوانات واضحة للعيان، ومنها تبرز ظاهرة اجتماعية مثلت مرحلة الاستقرار ونشوء المجتمعات الصغيرة، وتغيرت تلك الرسومات لتظهر الواقع الحياتي لذلك الإنسان بعيداً عن الخيال السابق(الفقي، 2010، ص38).

تشير العديد من الحفريات التي أجريت في كهف هوا فطيح إلى أن الليبيين القدماء قد استوطنوا المنطقة الشرقية من ليبيا القديمة منذ العصر الحجري القديم، ويؤكد هيرودوت في مجمل كتاباته على أن الليبيين هم من السكان الأصليين الذين وجدهم الإغريق عندما قدموا لهذه المناطق(عبد العليم، 1966، ص 3).

وإذا ما بحثنا في الاسم (ليبيا)نجد تعدد الآراء حوله، ومنهم بعض علماء المشرق العربي حيث نجدهم في كتاباتهم يتحدثون عن (لوبية) كمنطقة إدارية من مصر الغربية، وهذا الذكر ربما جاء في فترات تاريخية متأخرة، وإن كان ذكرهم للوبية قد جاء عند حديثهم عن السكان القدامى لبرقة وبلاد المغرب، ولم يأتِ عند حديثهم عن بلاد النيل (بازامة،1975، ص ص 16- 17)،

مما يزيد من الاعتقاد بالقدم المكاني لهذه القبائل تلك القبور الفردية التي عثر عليها في الكثير من المناطق في الشرق الليبي(كيرينايكي) وهي بهذه الهيئة توحي بأنها ابتكار محلي اقتضته في تلك

الفترة الطبيعة الجيولوجية ولم يحدث بتأثيرات أجنبية (الهدار،2006، ص80).

امتداد القبائل الليبية القديمة بالصحراء الكبرى:

القبائل الليبية هي جزء من تلك المجموعات التي استقرت على امتداد الصحراء التي كانت في فترة من تاريخ الأرض منطقة جذب، ولم يتم حتى هذا الوقت تحديد أصل وجودها، وإنما هي نظريات ذكرت وفق معطيات فسرت على طبيعتها ومنها النظرية سابقة الذكر.

يذكر ه.ج.هوجو أن الجماعات البشرية الأولى التي استقرت خلال العصر الحجري الحديث في الصحراء الوسطى هي امتداد لتلك الجماعات التي ظهرت على ضفاف النيل، وقد انتقلت من الشرق للغرب ثم الشمال، واستطاعت الوصول إلى منطقة الهوقار وتاسيلي وغيرها(لوصيف، وآخرون، 2017،ص15).وهذا يتوافق مع النظرية الأولى القائلة بالأصل العربي لسكان مناطق الشمال الإفريقي.

كما يرى بعض الباحثين منهم (ماكس بلانكنهورن) أن هناك نهراً قديما أطلق عليه النيل الليبي وهو محاذي في مجراه للنيل الحالي،ويدلل على ذلك بالرواسب النهرية وحفريات المياه العذبة والأشجار المتحجرة في بعض المناطق من الصحراء الغربية، وظهر في خارطة بطليموس نهر يطلق عليه الفرع البوتي (ببلاد النيل)، يختلف عن بقية الفروع ويربط مجراه بالعرض من الغرب إلى الشرق، منطلقاً من فرع الهرقلي في أقصى الغرب (سليم، 2000، ص34)، ويبدو أنه سمي بذلك نسبة لتلك الأسطورة القديمة التي تتحدث عن بطولات هرقل في الغرب من بلاد النيل، وتمنحنا فرصة لتأييد الرأي القائل بوجود النيل الليبي القديم الذي ينطلق من الغرب في اتجاه الشرق، وقد يكون له دور في سير تلك الهجرات القديمة وانتقال تلك الثقافات وانتشارها بالمنطقة.

لقد صرح العديد من الباحثين من بينهم العالم الألماني ليوفروبينيوس وأنمرمان بأن المكاسب الثقافية تبث عن طريق الهجرات، وإن التركيب العرقي لبلاد النيل كان متشعباً، هذا قد يكون بسبب تلك الهجرات التي وصلت لتلك البلاد نتيجة موجة الجفاف التي انتابت الصحراء خلال مراحل متتابعة، فاختلطت تلك القبائل والمجموعات مع بعضها البعض، وتأثرت الواحدة بالأخرى (أولدروج 1980، ص ص 282- 287).هذا الرأي تثبته تلك التماثيل والصور لسكان بلاد النيل زمن الدولة القديمة حيث يلاحظ عليها صفات العرق الزنجي، وجاء في كتابات البعض ومنهم بيركت، وحزين، وإبراهيم رزقانة، أن سطح الأرض قد انخفض خلال أواسط العصر الحجري الحديث، وقد ساد هذه المنطقة (بلاد النيل) جفافاً تدريجياً أدى لتغير بالمناخ، وفرض على الإنسان

ظروف معيشية جديدة،جعلته يفكر في استئناس الحيوان(شكل 8) الذي كان يعيش معه بنفس البيئة، ومن ثم عمل على استصلاح الأراضي المحيطة به من أجل الحصول على غذائه، وممارسة حياته اليومية بما توفره الطبيعة(درويش، ب/ت، ص3).

تُعد أرض بلاد النيل من الناحية الجيولوجية جزءاً من كتلة (الصحراء العربية النوبية) التي ذكرت سابقاً، وهي جزء من الصحراء الكبرى والأراضي الإفريقية، وقد ظهرت نتيجة التفاعل بين التطور الجيولوجي القاري في الجنوب والتطور الجيولوجي في الشمال(سليم، 2000، ص31).

إن الدارس لحضارة البداري يشاهد ذلك التمازج الكبير بينها وبين سكان الصحراء الغربية، ويعتقد بأن هذا الامتزاج قد جاء عن طريق جبل العوينات، حيث يعتبر منطقة التقاء حضاري يضم بلاد النيل والأراضي الليبية وبلاد النوبة(فخري ،2012، ص33).ومن الأدلة على ذلك وجود تشابه في بعض المسميات فهناك مسمى جبل العوينات في أقصى الجنوب الشرقي من الأراضي الليبية وأيضاً مسمى مشابه في أقصى الغرب يطلق عليه العوينات.

إن ما وجد من مخلفات لأجسام سكان بلاد النيل (أصحاب حضارة البداري) خلال الفترات التي سبقت تدوين التاريخ؛أظهرت ما كان لهم من صفات إذ إن أجسامهم كانت نحيفة ومتوسطو الطول، وبشرتهم بنية وجماجمهم ضيقة وشعورهم متموجة وداكنة، وهذه الأوصاف استطاع العلماء الوصول إليها بالرغم من ندرة ما عثر عليه وخاصة في مناطق الجنوبية (الدريد، 1996، ص50).

تجدر الإشارة هنا إلى أن بلاد النيل قد مرت كغيرها من البلدان بعصور جيولوجية قبل أن تصبح آهلة بالسكان حيث كانت مياه البحر المتوسط تصل إلى جنوب أسنا خلال العصر الإيوسين Eocene وبمرور الزمن حدث انحسار لمياه البحر أدى لارتفاع الأراضي في بلاد النيل خلال العصر الأوليجوسين Oligocene وفي عصر الميوسين Miocene اتخذ نهر النيل مجراه،وشقت روافده في الصحراء الشرقية والصحراء الغربية (فخري،2012، ص29). وكان في عصور ما قبل التاريخ نهراً عاصياً لا يستطيع إنسان ذلك الزمان السيطرة عليه من حيث الفيضانات التي تأتي بانسيابه أو ما يترك خلفه من مستنقعات لا تمنح فرصة العيش وممارسة الحياة الطبيعة(الدريد، 1996، ص44) .بالإضافة لذلك فقد ترك هذا النهر نتيجة لانحساره وزيادة عمقه العديد من المدرجات التي أصبحت بمرور الزمن مكان يأوي إليه إنسان❖❖❖❖❖❖❖ تلك الفترة (فخري ،2012، ص29).وهذا ما نشاهده في منطقة المنيا جنوب القاهرة بما يسمي مقابر بني حسن؛بمقارنة مع تلك الرسومات والنقوش الصخرية التي وجدت في الصحراء الكبرى وعمرها الزمني.يرجح القول بأسبقية

حضارة الصحراء عن غيرها، بالإضافة لذلك فإن معظم المصادر تدون أن خطوات العمل الزراعي كبذر البذور ونضوجها ومن ثم حصادها لم تكن معروفة لدى هؤلاء السكان وأنما جاءت من مناطق آسيوية(الدريد، 1996، ص44).وهذا القول يذهب بنا إلى تأييد نظرية الهجرات الأولى (نظرية شبة الجزيرة العربية) ووصول هؤلاء المهاجرين عبر باب المندب إلى أراضي بلاد النيل وعملوا من خلال خبرتهم على محاولة تجفيف بعض المستنقعات المائية التي يتركها فيضان النهر(الدريد، 1996،ص42)ومارسوا حياة الاستقرار خلال العصور القديمة، وبدخول مرحلة الجفاف والتصحر لمنطقة الصحراء الكبرى بدأ أولئك السكان في الهجرة شمالاً وشرقاً للبحث عن مناطق أكثر استقرار حيث وجدت آثارهم في تلك المناطق ودلت على وصولهم في فترات متأخرة،وتجدر الإشارة هنا إلى أن أقدم حضارة في شمال بلاد النيل هى حضارة الفيوم، وأن من قاموا بهذه الحضارة هم سكان نزحوا من المناطق الغربية واستقروا على حواف البحيرة(فخري ،2012، ص31).

مظاهر امتزاج القبائل الليبية القديمة بالشعوب المجاورة لها:

التمازج اللغوي والفني :

ترجع عملية الامتزاج التي حدثت للقبائل الليبية القديمة مع الشعوب المجاورة لها لمجموعة من الأسباب السياسية منها والاقتصادية والدينية والاجتماعية، وقد تمت هذه العملية (الامتزاج الثاني) خلال فترات تاريخية متتابعة أعقبت فترات التصحر الذي انتاب الصحراء.

تتباين مظاهر الامتزاج في العديد من جوانب الحياة؛ فاللغة والأدب جزء من الحياة الاجتماعية؛ واللغة الليبية القديمة كانت ترجع في أصولها لما يعرف بالأبجدية اللوبية القديمة، التي انتشرت في الشمالي الإفريقي وجنوبه، بالإضافة لقربها من لغة سكان بلاد النيل، وأيضاً ما يعرف بالعربية القديمة بفروعها المتعددة منها الخط المسند، وقد استدلوا علي ذلك ببعض الشواهد التي كانت توضع علي القبور(الدراجي.(2007. ص55_56).

توحدت القبائل الليبية القديمة في العديد من الألفاظ اللغوية حيث نلاحظ ذلك في استخدامهم لكلمات مثل(ترذن وتيمزين) وتعني القمح والشعير وشاع استعمالها على امتداد الصحراء من سكان بلاد النيل شرقاً حتى المحيط الأطلسي غرباً(العربي، (2008، ص 31)،، وهذا ما يقودنا للقول بقوة التمازج الكبير فيما بينها.

بالإضافة لذلك الامتزاج اللغوي هناك أيضا الامتزاج الفني، تمثل في الرسومات التصويرية التي استطاع الإنسان الليبي القديم أن يجسدها على جدران الكهوف والمغارات والمقابر، وتصبح شاهداً على

ما كان يقوم به في حياته اليومية، ولوحظ بأن هناك تقارباً شديداً بين هذه الرسومات على امتداد الصحراء، وهذا دليل على سيادة حضارة واحدة في هذه المناطق خلال فترات زمنية متعددة شملت العديد من العصور (الدراجي.2007.ص 71).

لقد وصلت عملية الامتزاج الاجتماعي للأثاث والحلي حيث انتقلت للشعوب المجاورة عن طريق الهجرات والمعاملات التجارية بينها وبين الشعوب في الجنوب وبلاد النيل، وأيضاً مناطق جنوب المتوسط، وأصبح ذلك الأثاث وتلك الحلي بأشكالها المختلفة دليلاً على تنوع الثقافات، وامتزجت الموسيقي والغناء كذلك، بين الغرب والشرق فآلة الشبابة (المزمار) وكذلك الرباب ذي وترين كانت معروفة لديهم، كما أن التمازج لم يقتصر على ذلك بل امتد إلى الجنوب ويذكر الدراجي نقلا عن حسن حسني عبد الوهاب" ربما قلدوا فيها أغاني الزنوج المحيطين بهم ناحية الجنوب ـ الصحراء الكبرى والسودان" (الدراجي.2007. ص ص 81- 88). وهذا دليل على تلك العمليات التي كانت تحدث في فترات زمنية متعددة.

ظهرت تلك الرسومات القديمة التي تزينت بها كهوف سكان الصحراء قديما ما كان يستخدم في المجتمع الليبي القديم من أدوات ومعدات منها ما يعرف بالهراوة والعصا، التي استخدمت كأداة للصيد والمبارزة (اكصيل 2007،ص 37).هذا ما نشاهده أيضاً في الكثير من المناظر التي تزينت بها مقابر سكان بلاد النيل، ومن الجائز القول بأن التمازج كان موجوداً في هذا الاتجاه وأدلة وقرائن ذلك موجودة ومثبتة.

إن ما تم العثور عليها في مقابر الجرمنت يتطابق كثيراً مع ما دونته مصادر بلاد النيل عن القبائل الليبية القديمة وخاصة من ناحية الملبس حيث لبس الجرمنت في فترات مبكرة الجلد، ثم عرف القماش وصنعت منه الملابس فكانت عبارة عن عباءات فضفاضة تغطي ثوباً قصيراً حتى الركبة، ومثبتة عند الخصر، كما تزينوا بلبس الريش على الرؤوس .وأيضاً استخدموا حزام جلدي لستر العورة (الدراوي، 2019، ص552).

كما تجدر الإشارة هنا إلى أن الليبيين (سكان غرب النيل) كانوا يستعملون الشفرات الخشبية المعقوفة (البومران) وشوهدت أيضاً عند سكان بلاد النيل،وامتد استخدام هذا النوع من السلاح إلى العصور التاريخية حيث يذكر سيليوس إيطاليكوس أن الماصيين Maces كانوا يحملون في ايديهم سلاحاً محدباً (اكصيل، 2007، ص ص 42- 43).

زاد هذا التمازج بين القبائل الليبية وسكان بلاد النيل في فترات تاريخية متأخرة هذا ما نلاحظه عند

ذكر سكلاوس في كتابه وصف ليبيا ومصر "وبعد هؤلاء الليفوأيغبتي(الليبوأيغبتي، الليبو مصريون)"(بطوليميوس، 2004،ص71) ومن هذا القول تتضح عملية الامتزاج بين الليبيين وجيرانهم سكان بلاد النيل. وصلت إلى ملية المصاهرة؛ ودليل ذلك الزواج الذي تم في بداية حكم الأسرة الثانية والعشرين الليبية، مثلما حدث بين الليبيين والقادمين الفينيقيين فقد أطلق عليهم الليبوفينيقي .

يعتقد بأن عملية الامتزاج للقبائل الليبية خلال العصر الحجري الحديث، لم تقتصر على الاتجاه الشرقي فقط بل امتدت شمالاً، فقد استقروا في سهل ميسارا جنوب جزيرة كريت، واستدلوا على ذلك بتلك المواصفات التي اشتركوا فيها مع سكان الجزيرة، منها الجنس، فوصفوا بأن جماجمهم مستطيلة، ووجوههم مستديرة، وأيضاً قصار القامة.(الحاسي،2012.ص40-41).

تجدر الإشارة إلى أن جزيرة كريت لم تسكن أو تعمر من الإنسان خلال العصر الحجري القديم والوسيط، فلم توجد أي أنواع من الآثار تؤكد هذا الوجود خلال هذه العصور (الحاسي. 2012 .ص49).

هذا مما يمنح فرصة تأييد الامتداد الليبي في الشمال، وتعمير هذه الجزيرة وذلك لأسبقية وجود القبائل الليبية في الشمال الإفريقي وتواصلها المباشر مع غيرها .

إن الليبيين القدماء كانوا يضعون الوشم على أجسادهم كعلامات تميزهم عن بعضهم البعض حتى أصبح لكل قبيلة وشم خاص بها(المشرفي، 1969، ص 31) .غير أن هذه العادات قد تغيرت بمرور الزمن، وذلك بأن أصبح الوشم يستخدم في أكثر حالته للزينة وهي في مجملها تحمل دلالات دينية.

إذا ما انتقلنا إلى الامتداد صوب الشمال نجده واضحاً من خلال ذلك التمازج الأسري الذي تم بين الرجال الفينيقيين والنساء الليبيات خاصة التجار منهم حيث تكونت أسر جديدة كانت نتائجها مشتركة للطرفين،وانفتح الليبيين على العالم الخارجي، وأصبحت المرأة الليبية تتمتع بمكانة مرموقة واحترام متبادل ولها حرية الامتلاك والاستقلالية، وحق تولي بعض المناصب منها السياسية والدينية(أقنيبر،2019،ص79) .

لقد كان هناك تمازج سياسي حدث حوالي 3300ق.م حين ذكرت الوثائق والنصوص المتعلقة بسكان بلاد النيل،(سابقة الذكر) أن سكان المناطق الغربية لبلاد النيل(الليبيين) كانوا معروفين بشدتهم وباسهم في القتال مما أجبر حكامهم على استقطابهم ليكونوا عناصر فاعلة في الجيش حيث تشكلت منها مفارز قتالية زمن الملك رمسيس الثاني واستمر الحال حتى زمن الملك رمسيس الثالث الذي

عمل على استرضائهم بأن منحهم حوالي 1189ق.م أماكن إقامة لهم في الدلتا (الدراجي. 2007. ص 108) وأصبحوا بذلك من سكان بلاد النيل .

بالإضافة لذلك فقد تمت عملية التمازج مع الشمال أيضاً خلال القرن الثالث عشر ق.م بين هذه القبائل وبين ما يسمى بشعوب البحر التي تذكر بأنها قد اتحدت مع بعضها من أجل غزو بلاد النيل والسيطرة عليها(الدراجي.2007. ص118).

يستمر التمازج الحضاري بين ليبيا القديمة وبلاد النيل زمن السيطرة الإغريقية، هذا ما نجده في تلك الأسطورة التي أوردها الإغريق حين ذكروا بأن ليبيا هي ابنة ابافو Epafo ازيس المصرية ملكة مصر وعروس فوسيدون نبتون حيث اختطفتها هيرا في ليلة زفافها وعملت على إخفائها في الصحراء غيرة منها(بازامة، 2012،ص3).

كما كان هناك تمازج في الحياة الاجتماعية عند سكان الصحراء الكبرى بمواقعها الثلاث سابقة الذكر؛فلم تكن بمنأ عن الغير فهي امتداد متواصل بقدر الحاجة، وتركيبة هذا المجتمع نجدها كغيرها من المجتمعات؛ فإذا طبقنا ذلك على أحد القبائل الليبية القديمة(الجرامنت) نجد أنه مجتمع يتقاسمه الحضر الذين يسكنون المدن والواحات، والبدو وهم أبناء العشائر يتنقلون من مكان إلى أخر، بحثاً عن الماء والزرع، كذلك هناك ما يعرف بالعبيد أسندت إليهم الخدمات العامة والخاصة، ولا ننسى أن مكانة المرأة كانت محفوظة، وما دل على ذلك هو نوع الأثاث الجنائزي الذي وجد في قبورهن(الدراوي، 2019، ص551).

التمازج الاقتصادي:

يرجح من خلال أعمال التنقيب الأثري التي قامت في مناطق الجنوب الليبي وخاصة في فزان بأن هناك تمازجاً اقتصادياً بني على التعامل التجاري بين سكان الجنوب الليبي وبعض الحضارات المجاورة لهم في تلك الفترة؛ حيث ثم العثور على بعض المخلفات المستوردة من مناطق الجوار بلاد النيل والسودان والإغريق، كان هذا التمازج قد جدث نتيجة التبادل التجاري ربط بين الحضارات القديمة (الزدام،2009، ص58).

وترجح العينات التي تمً الكشف عنها بواسطة التحليل الكربوني الإشعاعي، بأن سكان الجنوب الليبي كانوا على علم ومعرفة بكثير من الطرق الزراعية، وقد تقدموا في هذه الحرفة حيث وجدت العديد من التشكيلات من الإنتاج الزراعي، بالإضافة لأصناف عديدة من الأعشاب، ترجع لحوالي الألف الأول ق.م (الزدام،2009، ص64).

كان التمازج الاقتصادي الفينيقي واضحاً في المجال الزراعي؛لأنه كان معروفا عليهم بأنهم قد أدخلوا العديد من المزروعات الحمضية، وزاد اهتمامهم بالتجارة بالإضافة لتربية الأغنام والدواجن والطيور وهي ما كانت معروفة عند السكان الأصليين (أقنيبر ،2019،ص80).

زد على ذلك معرفتهم بطرق الري المائي أو ما يعرف بالفغارات(شكل8) التي استغلت في مجال الزراعة ودلت على معرفة هؤلاء السكان بهذه الحرف منذ زمن بعيد(الزدام، 2009،ص24).

كما أكدت عمليات التنقيب التي حدثت في صحراء مصر الغربية أيضاً أن سكان هذه المناطق قد استخدموا ما يعرف بالفغارات في مجال الزراعة وري المحاصيل، خلال فترات زمنية متتابعة، وهذه الأعمال قد عرفت عند سكان المناطق الجنوبية من الأراضي الليبية، وهذا إن دل على شئ فإنما يدل على عملية الامتداد الذي كان متبادلاً بين هؤلاء السكان (الزدام،2009، ص80).

إن حرفة الزراعة كانت حرفة قديمة ومتجذرة لدى هذه القبائل؛ إذ يذكر شوفاليي بأن كل الدلائل تشير إلى أن جميع المنشآت الفلاحية التي أنشئت في عهد الرومان كانت ترجع لأصول محلية مارستها هذه القبائل قبل مجيء الرومان وغيرهم (العربي، 2008، ص ص 29- 30).

إذا ما رجعنا لمصادر بلاد النيل وكتاباتها عن القبائل الليبية القديمة وخوضها العديد من الحروب ضدها، وتلك الغنائم التي تحصل عليها ملوك بلاد النيل من بينها السيوف، يجدر بناء القول بمعرفة هذه القبائل ومنهم الجرمنت للمعادن، وأكد ذلك ما وجد من أفران خاصة بخلط النحاس، وبعض مخلفات لصهر الحديد، بالإضافة لوجود بعض الأفران لتنقية الفضة(الدراوي، 2019، ص550).

تجدر الإشارة للقول بأن سكان بلاد النيل قد عرفوا معدن النحاس وعرفوا كذلك عملية طرقه، وهذا ما تم مشاهدته عند أصحاب حضارة البداري، كذلك فقد استخدموا أيضاً بعض الحلي التي تزينت بحبات من الفيروز والعقيق والكوارتز، كما عرفوا بيض النعام واستخدموه في الزينة (فخري ،2012، ص 34).

إن الليبيين القدماء قد عرفوا استعمال المعادن منذ فترة قديمة حيث كان من بين أسلحتهم القديمة ما يعرف بالرمح الذي ظهر في الكثير من الرسوم الصخرية وهى مثلثة الشكل وبها الكثير من النتوءات التي تظهر في وسطها، وقد أكد الكثير من الكتاب ذلك منهم هيرودوت(العربي، 2008، ص 38).

التمازج العقائدي :

كانت القبائل الليبية كغيرها من الشعوب على امتداد الصحراء الكبرى لديها ال2015، في وجود قوى كامنة وعليا اعتقدوا بأنها لها عليهم الحكم والسلطان؛ فسعوا كغيرهم لارضائها واستعطافها ومحاولة التقرب منها، ويرجح بأن هذا الاعتقاد قد يرجع لتلك التغيرات الكونية التي يشاهدها الإنسان الليبي القديم، بالإضافة لذلك فقد رسخ لديه الاعتقاد بالروحانيات، وهذا ما استدل به هيرودوت حين ذكر بأن هناك رياحاً جنوبية قد أدت لإهلاك قبائل البسيلي، ويذكر الميار أن بليني قد استدل على ذلك بقوله: حين ذكر بأن هناك صخرة في واحة سيوة كانت مقدسة من قبل السكان وأن من يلمسها سوف يسبب في إثارة العواصف الرملية (الميار، 2000 ،ص 65).

إن الناظر للحياة الدينية التي مارسها سكان ليبيا القديمة وبلاد النيل يشاهد ذلك التمازج العقائدي الموحد الذي في حقيقة الأمر لا يمكن تحديده بفترة زمنية معينة، لكن المؤكد فيه أن سكان المنطقتين كانوا يعبدون مظاهر الطبيعة، من بينها القمر التي تعتبر من أقدم المظاهر التي عبدت لدى سكان بلاد النيل، وهذا ما نشهد عند سكان ليبيا القديمة أيضاً، وذكر هيرودوت ذلك في العديد من كتاباته (Herodotus,Iv,188).كما ذكر سابقا.

إن الإله أمون كان إله لواحة سيوة الليبية قبل أن تضم لبلاد النيل منذ منتصف القرن السادس ق.م، وقد ألحقها هيرودوت عندما وضع خريطته من بين الأراضي الليبية (بن سالم، 2015 ، ص61).

يزيد تأكيد هيرودوت على ذلك الأصل والتواصل حين يذكر بأن القبائل الشرقية من ليبيا القديمة كانت لهم عاداتهم وتقاليدهم تتشابه مع عادات وتقاليد سكان بلاد النيل، وقد استدل بقضية امتناع الليبيات عن أكل لحم الخنزير(Herodotus,Iv,186) الذي يعرف عند سكان بلاد النيل بحيوان ست المقدس.

إذا ما نظرنا إلى عبادة الإله أمون وفترة ظهورها نجد بأنها قد ظهرت خلال عصر الدولة الوسطى(1650/2100ق.م) في بلاد النيل(منازيل، ب/ت، ص 71). وهذا يدعونا إلى القول بأن هذه العبادة قد وصلت لهذه المنطقة (القبائل الليبية) خلال فترات تاريخية متأخرة.

مما يزيد من هذه القرائن اعتقاد الكثير من سكان الغرب بالروحانيات؛فعبدوا مظاهر الطبيعة وجعلوها في مصاف الآلهة، وعبادة الإله أمون الذي ذاع سيطه في واحة سيوة الليبية منذ العصور القديمة؛ منها انتشر بصورة كبيرة في العصور المتأخرة باتجاه العديد من المناطق وواحات بلاد النيل، كما تجدر الإشارة هنا إلى أن الليبيين القدماء قد مارسوا أيضاً عبادة أرواح الأسلاف المؤلهة، واستدل

ميلا على ذلك حين ذكر بأن أهالي منطقة أوجلة كانوا ينامون على قبور أسلافهم، وذلك من أجل الحصول على استشارة ما؛ من خلال النوم على قبورهم، واتفق هيرودوت مع ميلا بهذا الاتجاه(الميار، 2001 ،ص ص 65- 66).

كما بنيت عقيدتهم على تقديرهم أسلافهم وتخليدهم؛إذ يلاحظ على بعض القبائل تسمية القبيلة باسم الجد الأول؛ منهم نسامون جد النسامونيس، وبسيليوس جد البسيلي، وجرامس جد الجرامنت(الدراوي، 2019، ص ص552_553).

لقد كانت رموز الديانة القديمة الثور والحية والكباش من ضمن الديانة الليبية القديمة، وهي مشاهدة أيضاً في ديانات المناطق المجاورة، وقد تمازجت فيما بينها حيث نشاهد رموزها التصويرية قد أصبحت لها قدسيتها لدي العديد من الشعوب ، وهي في الأساس ذات منبع يدلل على أصالة وتواجد وروح الانتماء لدي تلك القبائل(الراشدي، 2015، ص 3).

مما لا شك فيه أن الليبيين قديما قد استخدموا الوشم على أجسادهم وهذا ما أكدته الرسومات في بلاد النيل حيث صورت الزعماء الليبيين وهم يحملون وشم على أذرعهم ونسب هذا الوشم للآلهة تانيت.

وهذا في حقيقة الأمر يؤكد قدم الليبيين وارتباطهم بهذه الآلهة، وخاصة عندما نلاحظ بأن سكان بلاد النيل لم تظهر لهم أي نوع من الرسومات تحمل وشماً أو رسماً على الأجساد، إذن فهي عادة أصيلة عند السكان الليبيين،وعرف عن الليبيين منذ فترات موغلة في القديم عادة صبغ الأبدان، يعتقد بأن لها طقوس تمنح الأجسام وقاية من الأمراض وكذلك تطهر الأبدان، واستدل على ذلك بأن هناك العديد من المدقات أو الأحجار عليها آثار مواد ملونة كالمغرة الحمراء (اكصيل،2007، ص ص16- 14).

وإذا ما عملنا عملية ربط الماضي بالحاضر يظهر لنا أن استخدام ما يعرف بالحنة حديثا هو امتداد طبيعي انتقل عبر أجيال تغيرت معه طبيعة طقوسه فأصبح من أدوات الزينة.ويرجح بأن عادة تحريم أكل لحم الخنزير لم تقتصر على مناطق معينة في الصحراء وإنما تمددت حتى وصلت للشعوب الفينيقية شمالاً، وهذا ما كان معروفاً عند القبائل الليبية القديمة حسب قول هيرودوت، بالإضافة لذلك فقد مارس سكان قرطاجة عادات الوشم حيث لاحظ ذلك على العديد من التماثيل الخاصة بالآلهة تانيت، ومنها ما وجد في مدينة لبدة إذ يرجع تاريخه إلى القرن الثاني ق.م وهي من العادات الليبية القديمة(أقنيبر ،2019،ص ص80_81) .

الخاتمة:

تم فيما تقدم استعراض جزءاً الحياة. القبائل الليبية القديمة في الصحراء الكبرى وامتدادها عبر هذه الصحراء شمالا وجنوبا وشرقا وغربا ، وذلك وفقا لما جاء عند الكثير من المؤرخين، خلال فترات شملت ما قبل التاريخ بنقوشه ورسوماته، والعصور الحجرية وأقسامها، والحديثة باستصلاح الأراضي الزراعية واستئناس الحيوانات، وما ترتب على ذلك من امتداد لثقافات كانت بدايته بتلك الفترة التي سبقت تدوين التاريخ،فعملية الامتداد وما تبعها من امتزاج كانت تحدث خلال فترات متتابعة،كان للطبيعة والجغرافيا دوركبير فيها وتوجيه تلك الهجرات في اتجاهات مختلفة.

كانت نتائجها علي النحو التالي :

إثبات أن عملية الامتداد كانت متجذرة منذ فترات قديمة.

لم تكن هناك حدود جغرافية تشكل حاجزا أمام هذه القبائل .

صاحب عملية الامتداد تمازج بين هذه القبائل والشعوب المجاورة .

شمل هذه التمازج جميع جوانب الحياة .

إثبات أن العصور الحجرية كانت سابقة لتلك الرسومات والنقوش الصخرية .

التوصيات:

1_ العمل على استحداث إدارة مختصة في البحث والتنقيب وفق تخصص دقيق يهتم بدراسات الصحراء الكبرى وفترات ما قبل التاريخ؛ وذلك لإظهار المزيد من المعلومات على حضارة الليبيين في الصحراء.

2_ إقامة الدورات التدريبية طويلة الأمد لعناصر وطنية متخصصة بالتاريخ القديم، مع الاستعانة بالمنقبين وخبراء الآثار.

3_تشجيع هواة الرحلات الاستكشافية ودعمهم وتوثيق رحلاتهم وتدوينها.

الملاحق :

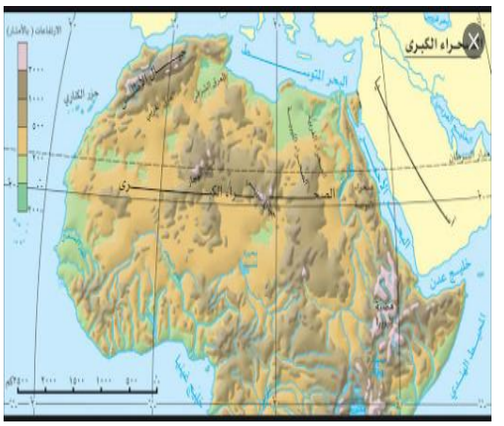

(شكل 1)الصحراء الكبرىwww.arab-ency.com.syالاطلاع 2021.2.9

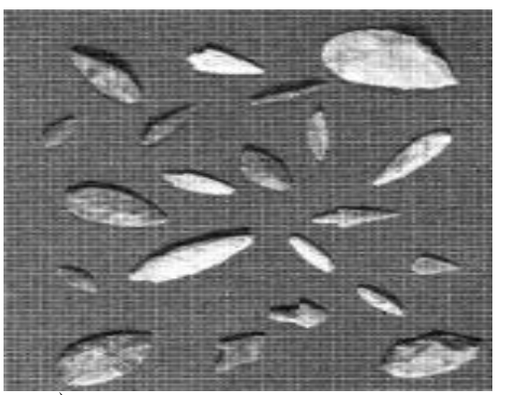

(شكل 2) أدوات وأسلحة تعود للعصور الحجرية بالشمال الإفريقي(باول. 2008ص25).

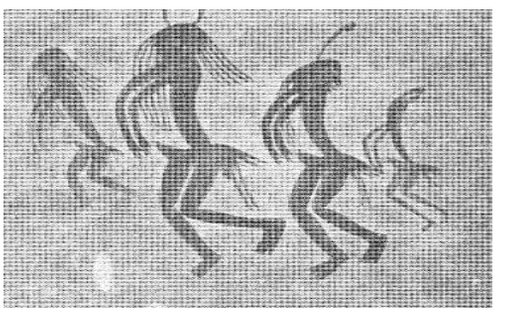

(شكل3) صور لأشخاص يرقصون عليهم تسريحة الشعر وأحزمة حول الخصر خطوط فوق الرأس (باول.2008.ص108)

(شكل4) نقش لثور قرونه للإمام وادي متخندوش الجنوب الليبي www.doa.ly2021.2.9

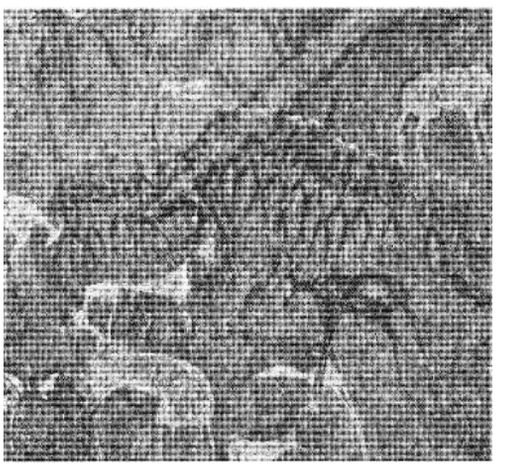

(شكل5) رسومات أبقار ومجموعة من الأشخاص يرقصون ورؤوسهم مزينة بزخارف أو بغطاء رأس،العوينات (باول،2008.ص116).

(شكل6) رسم لثور تتوجه قرونه للأمام بالقرب من عين الشرشارة .تصوير الباحث

(شكل7) رسم لثور تتوجه قرونه للأعلىوادي الخيل مزدة (الشريف.2010.ص185)

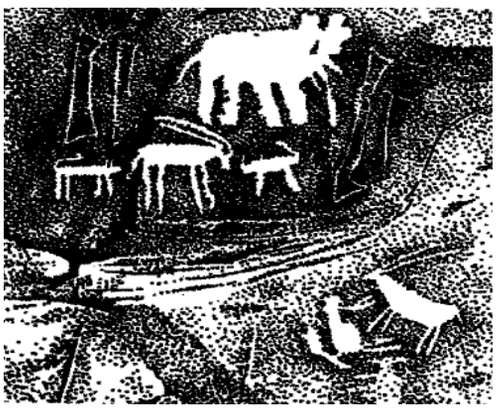

(شكل8) رسومات صخرية لمجموعة حيوانات جنوب بلاد النيل ، الصعيد (الدريد.1996.ص 40)

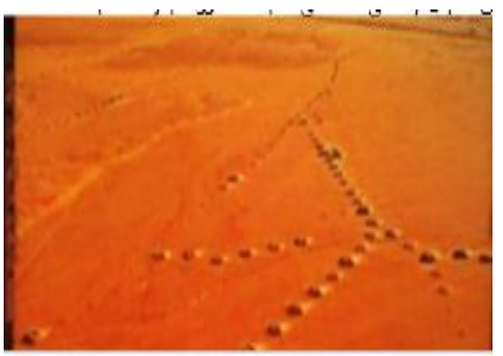

(شكل9) الفغارات بوادي الآجال (خاتمي مصطفى، مجلة عصور الجديدة، المجلد 10 العدد 1 مارس 2020)

هوامش البحث

❖ يقع هذا الوادي إلى الجنوب الغربي من مدينة هون الحديثة، راجع (الأمين على الأمين الهوني).

❖❖يقع هذا المنخفض شرق المنطقة السكنية (الجغبوب) قرابة 30كيلو متر على الحدود المصرية، راجع(إدريس التواتي، آفاق أثرية العدد 20/21)

❖❖❖ كهف الوحوش يقع على بعد عشرة كيلو متر من كهف السباحين، في الحدود الجنوبية الغربية لمصر مع كل من ليبيا والسودان وقد تم اكتشافه في عام 2002. راجع(زينب عبد التواب، مجلة كان التاريخية، ص12) .

❖❖❖❖البلايستوسين (Pleistocene).(الزمن الجيولوجي الرابع) (العصر الجليدي في أوروبا، والعصر المطير في أقاليم الصحراء) وهي فترة زمنية امتدت من 2.588.000إلى700.11 ق.م وقد مرت بها فترات جليدية متكررة وهي أول فترة من فترات العصر الرباعي وتتوافق نهايته مع نهاية العصر الجليدي الأخير،ونهاية العصر الحجري القديم.راجع(خنيش عبدالفتاح،2013، ص5).

❖❖❖❖❖سطيف، الجزائر، راجع(مهران، محمد بيومي،1990،ص9).

❖❖❖❖❖❖ ينسب هذا الموقع لبئر العاتر في وادي جبانة قرب قسطنطينة على الحدود التونسية الجزائرية، راجع(مهران، محمد بيومي،1990،ص11).

❖❖❖❖❖❖❖تمت مشاهدة هذه المدرجات في جبال بني حسن بما يعرف بمقابر بني حسن عند الزيارة في عام 2016م.راجع(أحمد فخري، مصر الفرعونية، ص29).

قائمة المصادر والمراجع

- Herodotus, IV,

- اقنيبر، محمد ميلاد.(2019). العلاقات الاجتماعية بين الفينيقيين والسكان الأصليين في إقليم المدن الثلاث. مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية. العدد 8. ديسمبر.

- اكصيل، اصطيفان.(2007). تاريخ شمال إفريقيا القديم. ج6 .المعارف الجديدة.

- أولدورج، د.(1980). الهجرات والاختلافات السلوكية واللغوية. تاريخ إفريقيا العام. المجلد الأول.

- بازامة، محمد مصطفى.(1975). ليبيا هذا الاسم في جذوره التاريخية. ط2. منشورات مكتبة قورينا.

- بازامة، محمد.(2012). أوراق من الماضي. آفاق أثرية. العدد 10. السنة الأولى.

- باقر، طه.(1968). عصور ما قبل التاريخ في ليبيا وعلاقتها بأصول الحضارات القديمة. ليبيا في التاريخ . المؤتمر التاريخي.

- بطوليميوس، كلاوديوس.(2004).جغرافية كلاوديوس بطوليميوس. وصف ليبيا (قارة إفريقيا) ومصر.ت/محمد المبروك الدويب. بنغازي: منشورات جامعة قاريونس.

- بن سالم، صالح.(2015). عبادة الإله آمون والإلهة تانيت في بلاد المغرب القديم بين الأصل المحلي والاحتواء الأجنبي. مجلة كان التاريخية. السنة الثامنة. العدد الثلاثون. ديسمبر .

- بن صراي، حمد محمد.(2009).العلاقات الحضارية بين شبة الجزيرة العربية والساحل الشرقي لإفريقيا من القرن الثالث قبل الميلاد إلى القرن السابع الميلادي.ط1.رأس الخيمة: مركز الدراسات والوثائق.

- بن عثمان، مغيث محمد العربي. (2017). رمزية الحيوان في الفن التشكيلي الجزائري.الجزائر. جامعة أبوبكر بلقايد. رسالة ماجستير غير منشورة.

- بوبطانة، إيناس محمد.(2011). حفريات جديدة في كهف هوا أفطيح قرب سوسة. آفاق أثرية. العدد 4- 5. السنة الأولى.

- جراتسيوسي، باول.(2008).دليل الفن الصخري في الصحراء الليبية. بنغازي.منشورات جامعة قاريونس.

- حارش، محمد الهادي.(1988). أصول عبادة أمون في المغرب القديم. مجلة الدراسات التاريخية. العدد الرابع. السنة الثالثة .

- درويش، مهابة.(ب/ت) الزراعة والري في مصر القديمة. مكتبة الإسكندرية.

- دقيل، حسين.(2019). آثار النوبة الواقع والمأمول، المعهد المصري للدراسات، مايو .

- راشدى، فرج محمود.(2015). التواجد الليبي في المجتمع المصري القديم. المجلة الليبية العالمية. العدد الرابع. ديسمبر .

- رياض، زينب عبد التواب .(2015).الكهف بين الحياة والموت في عصور ما قبل التاريخ. مجلة كان التاريخية. العدد 30. السنة الثامنة .

- سليم، أحمد أمين.(2000). العصور الحجرية وما قبل الأسرات في مصر والشرق الأدنى القديم. دار المعرفة الجامعية.

- عبد العليم، مصطفى كمال.(1966). دراسات في تاريخ ليبيا القديم. منشورات الجامعة الليبية.

- عبد الفتاح، خنيش. (2013).التوسع الزراعي في إفريقيا القديمة خلال الفترة الرومانية. رسالة ماجستير غير منشورة.جامعة قسنطينة. الجزائر.

- عقون، محمد العربي.(2008). الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

- عيساوي، مها.(2010). المجتمع اللوبي في بلاد المغرب من عصور ما قبل التاريخ إلى عشية الفتح الإسلامي. أطروحة دكتوراه غير منشورة.الجزائر: جامعة منتوري.

- عيسى، محمد على.(2009). الجذور التاريخية لسكان المغرب القديم من خلال المصادر الأثرية والأنثروبولوجية واللغوية. دار الأصالة والمعاصرة. ط1.

- عيسى، محمد على.(2012). مواقع أثرية ليبية ترجع لعصور ما قبل التاريخ. آفاق أثرية. العدد9. السنة الأولى.

- فخري، أحمد.(2012). مصر الفرعونية موجز تاريخ مصر منذ أقدم العصور حتى عام 332قبل الميلاد. ط2. مكتبة الأسرة.

- التواتي، إدريس.(2017). آثار ما قبل التاريخ في منطقة الجغبوب، آفاق أثرية، العدد 21/20. السنة الخامسة.

- الحاسي، عطية إبريك مؤمن.(2012). كريت ودورها في تاريخ البحر المتوسط، بنغازي: جامعة بنغازي، ماجستير غير منشورة.

- الدراجي، بوزياني. (2007) القبائل الأمازيغية أدوارها مواطنها أعيانها. ج 1. الجزائر. دار الكتاب العربي.

- الدراوي، محمد علي.(2019).الجرامنت ومظاهرهم الحضارية من خلال المصادر الأدبية والمعطيات الأثرية. مجلة العلوم الإنسانية. مارس.

- الدريد، سير يل.(1996). الحضارة المصرية من عصور ما قبل التاريخ حتى نهاية الدولة القديمة. ط2 الدار المصرية اللبنانية.

- الزادم، نجلاء عبد الله.(2009). الجرمنت وعلاقاتهم السياسية والتجارية مع المدن الساحلية خلال العصر الروماني. رسالة ماجستير غير منشورة. جامعة المرقب.

- الشريف، عز الدين أحمد الفقي.(2010). الفن الصخري في عصور ما قبل التاريخ في المنطقة الشمالية الغربية من ليبيا .رسالة ماجستير غير منشورة. طرابلس:أكاديمية الدراسات العليا.

- لوصيف، موري. ونوال، مكي.(2017). قبائل الغرامنت ودورها الحضاري. رسالة ماجستير غير منشورة. جامعة الجيلاني بونعامة.

- المشرقي، محمد محي الدين.(1969). إفريقيا الشمالية في العصر القديم. ط4. دار الكتب العربية.

- الميار، عبد الحفيظ فضيل.(2001). الحضارة الفينيقية في ليبيا. طرابلس:منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية. ط1.

- الهدار، خالد محمد.(2006). دراسة القبور الفردية وأثاثها الجنائزي في تأخيرا. م1. بنغازي: منشورات جامعة قاريونس.

- الهوني، الأمين على الأمين.(2014). اكتشاف آثار ما قبل التاريخ بوادي تاجنت قرب هون. آفاق أثرية. العدد 19. السنة الرابعة.

- الورفلي، أكرم جمعة.(2011). استكشافات جديدة في الفن الصخري في جنوب شرق ليبيا. آفاق أثرية. العدد 10، السنة الأولي.

- مصطفى، خاتمي. والعقون، أم الخير.(2020). صورة مملكة جرمة في ليبيا القديمة من خلال الآثار المادية والمصادر الأدبية. مجلة دراسات وأبحاث المجلة العربية للأبحاث والدراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية. م 12.العدد 1. جانفي. السنة الثانية عشر.

- مناويل، إيمان عشم.(2014). الآلهة في الصحراء الغربية منذ العصر المتأخر حتى نهاية العصر اليوناني والروماني. أطروحة دكتوراه غير منشورة. كلية الآثار. القاهرة،

- مهران، محمد بيومي.(1990). المغرب القديم. دار المعرفة الجامعية.

- موري، فابريشيو.(1979). الصحراء الكبرى، حول تاريخ الرسوم الصخرية في الصحراء الكبرى. منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية.